الشاعر حسن البحيري

نبذة

من مواليد ١٩٢١م في مدينة حيفا .

اضطر إلى ترك حيفا لينضم إلى جموع الفلسطينيين الذين تشردوا في الشتات عام ١٩٤٨م وكان من بين الذين ذهبوا إلى سوريا .

عقد البحيري صداقات مع الشعراء السوريين والشعراء العرب الآخرين .

أصدر البحيري عدداً من المجموعات الشعرية كرّسها جميعاً للقضية الفلسطينية والتعبير عن الحنين العميق للوطن المضاع ، منها "الأصائل والأسحار" (١٩٤٣) و" أفراح الربيع" (١٩٤٤) و" ابتسام الضحى" (١٩٤٦) و"حيفا في القلب" (١٩٧٣) و" لفلسطين أغني" (١٩٧٩) و"الأنهار الظماء" (١٩٨٢) و" جنة الورد" (١٩٨٩) .

منح البحيري عام ١٩٩٠ وسام القدس تقديراً لإنجازه الأدبي .

البداية

الداء والدواء

على هامش وعد "بلفور"..

الدهر بالحدثان شدا ومضى وصار الأمر جداً

واربد وجه العيش في زمن على الجور استبدا

وتصارعت هوج الرياح فراعت الأطواد هدا

وتراكم الغيم الحبي على عبوس الأفق سدا

وتلفت الثقلان في عكر الدجى للنور نشدا

وانصاع بعد الليل نور من مسيل الجر فدا

وعلت تباشير الصباح فبدت الظلماء بدا

والعيش بدله الجديدان المطارف فاستجدا

والكون زلزل والحياة تطاحنت عكساً وطردا

وأراكمو في غفوة السكرات ما زلتم عبدي

لا تملكون سوى الكـلام يساء في الحفـلات سردا
فثريكم في غمرة اللـذات يمضـي العيش رغدا
ما همه الوطن المبيـع ولا شجـاه الأمـر نـدا
فإذا دعته اللذة الهوجـاء فاض لهـا وأنـدى
فإذا دعا الوطن الجـريح حمـة أعـطى فأكدى
وإذا دعـــته اللذة الهوجـاء فاض لها وأندى
وخطيبكم كالديــك في فلق الصبـاح إذا تبدى
متسـنم عود المنابر كي يفــوق عليه ندا
شفتاه تصطرعــان بالأقوال فهو يسوق عردا
وضميره مـيت فليس يهزه شعــب تـردى
يا من جعلتم خــادع الأقوال للتصفيق قصدا
وغفلتمو لاهيـن عن هول يحيق بكم وشدى
هاكم عداكم في حمــاكم شمروا ومضـوا ألـدا
شبانهم تمشي بسيـف فنائكم وتصـول جندا
وشيوخهم تبدي الحـجا وتكن في الأطواء حقدا
بعتم لهم إرث الجـدود وما رعيتـم فيه عهدا
عهداً دم الشهـداء مار على صحيفـة مـردا
ويل لكم.. أبأرضــكم تتوثب الأعــداء شدا
وعيونكم – عشيت – قصارهـا بفيض الدمـع تندى

*****

يا أيها الباكون يجرون الدموع جـوىً وسهداً
رفداً من الجفنين يستتلي على الخديـن رفـدا
ما نال ذو حق هوى بالدمع يغرق منه خدا
فالحق يؤخذ بالصفاح تؤدهـا الأبطال أدا

والمجد يبنيه القوي وما   بنى ذو الضعف مجدا

يا من جهرتم بالكلام فأز   في الأفـــواه رعدا

لا يمحي جرح العروبة   مــن فؤادٍ كاد يردى

بالقول نمقه اللســان   فسال للأسماع شهدا

أو بالمنى رفت على   سنة يراح بها ويغدى

أو بالتشكي من صروفٍ   سيرت نحساً وسعدا

جرح العروبة طبه   عمل من العلم استمدا

وحصين خلق لا تروعه   المفــاسد أن يبدا

والعلم نبــراس الألى   نهدوا إلى العلياء نهدا

والخلق أس الصرح   يعمده بناة المجد عمدا

*****

أين الذي أعددتمــوه   لتنقذوا الوطــن المفدى

الشعب يثقله الضنــى   وينوء بالأغــلال جهدا

والفقر يغمره بما   يُبكي فؤاد الصخر وجدا

والجهل يلبسـه من   الآلام والأسقــام بردا

واليأس دون منـاة في   سُبُل الحيــاة يقوم سدا

أين الملاجئ تسعدون   بها الألى حرموه جــدا

أين المصـانع تلبسون   حديدهــا حلقاً وسردا

أين الفيالق تصرعـون   ببأســها الخصم الألدا

أو ما أتاكــم قول ذي   الصمصامــة البتار حدا:

" كل امرئ يجري إلى   يوم الهياج بما استـعدا"

إن شئتمو سبل الحيـاة   تنمــروا شيباً ومردا

فهي الصلال تألبــت   وتقلبــت نابأ وجلدا

لا تخدعنكم السياســة   تجعل الأشــواك وردا

كي تركنوا لمنى سراب   لاح للصادين بـردا

فلرب شهد في كؤوس   رضابــها بالسم مدا

*****

قومي: أجـدوا فاز   مشتمل ردا صبر أجدا

واستعذبوا ورد الردى   يا طيبــة بالعز وردا

جدوا وشدوا واستبدوا   مات شعـب ما استبدا

وتدرعوهـا مـرةً   قدت من الأفنـاد قدا

وتساندوا وتعاضـدوا   وتكاتفـوا قلباً و زندا

وامضوا بعزمٍ صــادق   يأتج كالنيـران وقدا

وابنوا صروح المجد في   غاب العلا واحموه أسدا

واسترجعوا ما ضـاع   من أوطانكم غوراً ونجدا

أولا فإن المـوت مـن   عيش الونى أهدى وأجدى

والعبد يرضيه الهـوان   ولا يبـالي أن يصدا

والحر يأبى أن يضام   ولا يطيق العيش عبدا!!

البداية

حيفا في سواد العيون

المصدر : ديوان "حيفا في سواد العيون"

دمشق : أوائل تشرين الثاني ١٩٥٠

يحق لحسن البحيري أن يهيم عشقا في بلاده، أو ليست فلسطين ؟! فكيف إذا كانت مهد مولده وممشى صباه عروس المدائن " حيفا " ، بقدر الحب تأتي اللوعة ، فيسافر في ذكرياته وتنزف أيامه الماضية قصائد ولا أروع ، فنعيش في حيفا دون أن نعيش ، ونبكي عليها ولم نرها إلا من خلال عيونه ، ولا يظل الأمر هكذا بل نهيم بوطن غادرتنا محسوساته ولم تغادرنا أحاسيسه ، لعيني حيفا وسواد عيونها التي أرمدت في أيام الاحتلال ، هو لا يبكي أطلالا ، ولكن يذكر عهدا وحسب الوفي أن يذكر اشتياقه ويكتبه في دفتر الأيام ...

يوم غادرت مسقط رأسي مدينتي الحبيبة ((حيفا)) ، بعد ظهر الخميس في ٢٣ نيسان عام ١٩٤٨م لم يكن ليمر في توهم خيالي إني أغادرها إلى غير رجعة .. فلقد ركبت البحر إلى "عكا" (نحو ست عقد بحرية (على أن أمضى فيها ليلتي ، ثم أعود بعد أن يخفُ جحيمُ الموت .. ولكن : تقفون والفلك المحرك دائب وتقدرون فتضحك الأقدار !

ما أشرقتْ عينـاكِ إلاَّ خْانَنـــي
بصَبابتي .. صبري .. وحُسْنُ تجملي

وتَحسَّستْ كفّـايَ من ألـَم الجـوى
سهماً مغارسُ نَصْلـهِ في مقتلـــي

وتسارعتْ من مُهْجَتــي في وجنتي
حُمْرَ المـدامع جـدولاً في جَدولِ

فلقد رأيتُ بلحظ عينـكِ إذ رَنَـتْ
والتِّيهُ يَكْحَلُها بمِيـل تَـدلُّلِ

((حيفا)) وشاطئـها الحبيبَ، وسَفحـهَا
وذُرىً تعـالتْ للسِّـاكِ الأعْـزَلِ

ومُنىً تقضـتْ في فسيـح رحابـها
وهوىً تولَّـى في الشبـاب الأولِ

ورأيتُ هَيْمَنَـةَ الأمـان مُطمأنَ
اللهفـاتِ من غدْرِ الصُّروفِ الحُوَّلِ

بظِلالِ أهدابٍ تَـرفُّ غضـارةً
كظلالِ أهْدابِ الغمـام المثقـلِ

وذكرتُ من عُمـر النعيم مَضاءه
بصِبىً على رُودِ الليـالي مُعْجَـلِ

والعيْشُ بُسْتـانٌ وبَسْمَـةُ سـعدِهِ
فجرٌ بأفراح المشـارق يَنجلـي ..

والنجـمِ يَسحبُ من مَشارفِ أفْقهِ

ذيلَ الإباءِ إلى مَشــارفِ مَنـْزلي

عينٌ رأيـتُ بسْحــرها وفُتونـــها

أحلامَ عَهْدٍ بالصَّفــاءِ مُظــلّلِ

ولمحـتُ بين سوادِهـا وبياضـِها

ظِلَّ الصَّنَوْبَر في أعالي ((الكَرْمـل))

فعلى جفـونكِ لاحَ طيفُ ربيعه

والحُسْنُ يوطئه بســاط المُخمَـلِ

والسَّوْسَنُ المطلـولُ بَيْن صخوره

خَفِـقُ العِطافِ على أغاني البُلْبلِ

ومَضاجعُ الأحبــابِ في أحضانه

بَيْنَ الخَمَائل من حَريـرِ مَوصْـلي

والرّيح ُ تَشْـدو في مَلاعبِ دَوْحـهِ

نَغمــاً تنـام له عيونُ العُــذَّلِ

جَبَلُ أطـَلَّ على مرابــع أُنْســهِ

قمَري . . وغـابَ وَتِمُّه لم يكُمـلِ

وغرَسـْتُ بين شعافِـهِ وشِعابـــهِ

زَهْرَ الصِّبا وَرَوَيْتُه من سَلْسَلـي

ورعيتــه بالرُّوحِ من لَفـحٍ .. ومن

نَفْحٍ ومن غِيَرِ الزمــانِ النُّـزَّلِ

فنَما على جُهـْدِ الضَّنى .. وعَنائـِه

وزكا على جُرحٍ عَسير المَحْمَـلِ

حتى استوى سُوقَاً .. وَهَدْهَدَ خاطـري

مَجْنىً .. وأكمامُ الرَّجـاءِ بَسَمْنَ لـي

قطَفَتْهُ كفٌ غيـرُ كفّـى عَنْـوَةً

وجَناهُ من أرضي غريبُ المِنْجـلِ

فإذا رنـوتُ إلى لحــاظكِ تائـهاً

من سِرِّها في جُنْحِ ليْـلٍ ألْيَـلِ

مُتَــعَثِّرَ اللحظاتِ ، مَشْدُوهَ الأسـى

أهْفو لِحَـظٍ مُدْبِـرٍ أو مُقبِـلِ

وأنــا أرُودُ بلَـهْفَتــي وصَبابتــي

ألَقَ السَّنى من وَجْهـكِ المتهـلّلِ

فتَلَفّتــي ، لا تَعْطِفــي جِيدَ الحَيا

عنّي ، ففي عينيكِ غايةُ مأمَلـي ....

البداية

قلمٌ لمْ يفارقْه الحنين

بقلم : سمير عطيه

كانت الدواوين الثلاثة التي أصدرها الشاعر قبل نكبة فلسطين ، كافية لينقش اسمه في جبال الكرمل قبل أن يضطر لمغادرة الوطن . خمسون عاما قضاها بعد ذلك بعيدا عن وطنه ومدينته ورغم ذلك ظلّ وفيّا يغني لفلسطين ويضع "حيفا في سواد العيون" في الأيام التي كانت حبلى بالثورات في فلسطين، وُلد الشاعر حسن البحيري في " وادي النسناس " أحد أودية جبل الكرمل في مدينة حيفا عام ١٩٢١، ورغم اليتم الذي عاشه، وقساوة زوج الأم فيما بعد، ظلّ الشّاعر متمسكا بأمله في أن يحتضن القلم والدّفتر حتى ولو كان ذلك خلف أسوار المدرسة التي حُرم منها فيما بعد .

الظروف القاسية التي عاشها لم تكن لتتغلب على رقة روحه ومشاعره، ولم تكن لتحاصر حلمه، وكان مدينة حيفا بسهولها وجبالها هي محضن الحب الذي لجأ إليه الشاعر، فكان أن أصدر ثلاثة دواوين شعرية وهو لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره .ولعلّ رغبته في أن تتم طباعة هذه الدواوين في القاهرة هي باب الشهرة التي مكنت القراء والنقاد من الاهتمام بشعره، خاصة وأنّ هذه الدواوين قد سلمت من أعمال التخريب والنهب من قِبل الصهاينة عند احتلالهم لمدينة حيفا .

وإذا توقفنا عند هذه الدواوين الثلاثة فسنجد كيف أثرت مدينة حيفا بجمالها الخلاب على الروح الرّقيقة للشاعر الذي سكب هذه الرقة في كؤوس الدواوين شعرا عذبا. فديوانه الأول "الأصائل والأسحار" الذي طُبع عام ١٩٤٣، وديوانه الثاني" أفراح الربيع" والذي طبع في العام الذي تلاه، وأخيرا ديوان "ابتسام الضّحى"، والذي تمت طباعته قبل النكبة بعامين فقط "١٩٤٦م"، كل هذه العناوين التي تأخذ من طبيعة المدينة عناوين لأعماله الشعرية،

فتقرّبه من أبناء المدرسة الرومانسية، ونقول تقربه لأنه لم يُحلق في فضاء الطبيعة تاركا جرح الوطن النازف دون أيّ ضماد، ولعلّ قصيدة " الشرق...أو أرض البلاد " التي جاءت في ديوان الشعري "ابتسام الضحى" تعطي صورة واضحة عن هذه المشاعر تجاه الوطن :

أرضَ البلادِ نَعِمتِ تحتَ لوانا   وبقيتِ ما بقيَ الزّمانُ حِمانا

ويقول فيها مخاطبا بلده :

وَلَتَبْقِينّ لنا على طولِ المدَى   روْضاً غرسْنا فيهِ زهرَ مُنانا
لا تستَهِنْ يا غربُ إنّـا أمَّةٌ   كُتِبَ اسمُها لِذُرَى العُلا عُنوانا

هذه الصورة التي استقاها من تجربة التاريخ، وحركة الزَمان المتواصلة، وتلك الوقفة التي رأى من خلالها صورة مجد أمته الذي مضى، لا تتركه بعيدا عن الشعراء العرب الكبار في تاريخ الشعر من أمثال البحتري وابن زيدون وأحمد شوقي .ولذلك لم يكن غريبا أن يُعيد الشاعرُ القارئَ إلى دروس الماضي، ومدرسة التاريخ، وهو فيذلك يحاول رمي طوق النجاة لأبناء شعبه وأمته وهو يراهم وسط أمواج " الاستعمار الانجليزي " المتلاطمة، والعواصف "الصهيونية" التي كانت تعصف بالوطن آنذاك، وهو في ذلك التوجه يتجاوز حوادث الزمن إلى دروس تمتد في عمرها طويلا لتعيش في نبض الشعوب وهكذا يرسم فهمه لرسالة الشعر والأدب:

فلكٌ يدورُ...وحادثاتٌ تنْثني.... وقوابلُ الأيّامِ غِبْنَ بيانا
لا يخدَعَنّكَ أنْ صفَا وجهُ الزّمانِ الجهْمِ فهوَ مُلوّنٌ ألوانا
لا تأمَنَنَّ الدَّهرَ في وثباتِهِ....فالدَّهرُ يلبسُ كلَّ يومٍ شانا
لا تغفونَّ على نشيدٍ خادعٍ...قدْ سَجَّعتهُ لكَ المنى ألحانا
فلنوقِظنّكَ منْ سُباتِكَ يقظةً...تَذرُ الزّمانَ وراءَها حسرانا

ورغم أنه يصور لنا جراح وطنه في مناسبة العيد، إلا أنّ المفارقة العجيبة أنّ ذكرى العيد قد ظلّت تؤرّق نفسه، وتجدد الحزنَ في نفسه ففي هذا الديوان يكتب بيتين من الشِّعر، يكون لهما ما بعدهما:

يُهنِّئُني بالعيدِ منْ ظنَّ أنّ لي...سوى برءِ أوطاني الجريحةِ عيدا
أرَى الشَّرقَ مَطويَّ الفؤادِ علَى الأسَى...فلا عيدَ إلّا أنْ أراهُ سَعيدا

لقد كانت مناسبة العيد حاضرة في ذات الشّاعر، وكانت مناسبة لمحطات يتوقف عندها الشاعر على امتداد عمره، فنراه في مطلع العقد التاسع من القرن العشرين يكتب رسالة في عيد ولكن في هذه المرّة من دمشق العاصمة التي استقرّ بها بعد ضياع وطنه .

ومما يوجع القلب في قراءتنا لهذه الدواوين التي سبقت نكبة الوطن، أنّ ابتسام الضّحى الذي رآه شاعرنا في جبل الكرمل قد تبدّل "عبسا وجهما"، أمّا أفراح الرّبيع التي كانت في ديوانه الآخر فلم تمض عليها الأيام وبعض السنوات حتى تحولت إلى أتراح الدّيار ومواجع، والأصائل والأسحار لم تدم في زمن الشاعر كتبدل أوقات كلها تلدُ إبداعا وشعرا، ولذلك يتوقف الشاعر عن النشيد سنوات طويلة بعد النكبة بلغت خمس وعشرين عاما، ليطلق حنينه إلى مدينته التي تركها مرغما،، ويترك قصائده تسافر مع أطيار السنونو في ديوانه " حيفا في سواد العيون "بعد أن تركها حبيسة القلب والأوراق زمنا طويلا، وفي هذه الإطلالة الحزينة والكئيبة الأولى منذ ضياع وطنه، تتزاحم الكلمات في ديوانه من غير نشاز، وتطفو

على سطح المشاعر أشواق وأشواك، ورغم أنه يترك عنوان الديوان لمدينته "حيفا " إلا أن القصيدة الأولى في الديوان والتي سبقت المقدمة تكون لفلسطين، الأم والوطن والفؤاد المكلوم :

أيا فلسطينُ يا عُمقَ الأسى غُصَصا...ويا سُهادَ الضَّنَى نَأيا وحِرمانا
على تَوَالي اللَّيالي في تُجَهُّمِها...والعُمرُ يمضي بها غمّا وأحْزانا
إنِّي لَأسْمَعُ- والآلامُ تَصْهَرُني...فالجرحُ يَسْعَرُ في جَنْبيَّ نيرانا
مِنْ كُلِّ ما فيكِ من سَهلٍ ومن جبلٍ...ما باتَ يرثي بهِ أهلاً وأعوانا

لقد تركت الفاجعة أثرها، ولعل الشاعر من أقدر الناس على نقل مشاعره إلى النّاس، وكان الشاعر حسن البحيري من هؤلاء، فها هو ينكأ الجراح الفلسطينية، ويُعيد شريط الذكريات، وتمرُّ عليه الأشواق بكل أطيافها، ولحيفا نصيب، أو ليست هي التي في سودا العيون؟؟ وبين جوانح الصدور؟

"حيفا" وأنتِ مِزاجُ الرُّوحِ في رَمَقي...وعُمقُ جُرْحِ الهَوى في مُوجَعي الخفق
يَشُدُّني لكِ شوقٌ لو غمستُ لَهُ...يراعَ شعريَ في صَوْبِ الحيا الغَدِقِ
ورحتُ بالحبِّ والذِّكرى أُصوِّرُهُ... دمعاً على الخدِّ أوْ حرْفاً على الورق
لجفَّ حبري ولم أبلغْ قرارة ما...ضمَّتْ جوانحُ صَدري مِنْ لَظى حُرَقي

وكأنّ الشاعر لم يكتفي بقصائده المعبرة، وكأنّ الفاجعة أكبر من أيّ قصيدة، وأعظم من كل الكلمات، فالإهداء الذي تصدّر هذا الديوان ينبض بالأنين، ويفيض بالحنين، فتراه ينثر الحروف والكلمات على صفحات الورق، وهو بعد أن يكتب يختم بأبيات شعرية ويعود إلى شاعريّته، ولكن للنثر في شخصية هذا الأديب نصيب، ففي الإهداء في ديوان "حيفا في سواد العيون" خير مثال على ما نقول، خاصة وهو يخاطب الوطن المنكوب:

(وأنتِ يا فلسطين ، يا ذات التُّراب الأقدس ... يا أوّل ما جال في رئتيَّ من أنفاس الحياة إني لم أغادرك طائعا ولا مختارا ، ولكنها أعاصير المقادير هبّت عليَّ عاصفةً ، راجفة ، عاتية ... بعد ظهر يوم الخميس ، في الثاني والعشرين من شهر نيسان ، عام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف ، فانتزعتني منك انتزاعا ..! ولعلّي كنت يومئذ آخر من أكرهَ على مغادرة أوّل أرض مسّ جسمي ترابُها ...) .

أرأيت أخي القارئ كيف يصف الشاعر تمسكه بأرضه ؟؟ إنه آخر من أرغمه الصهاينة على ترك بيته ، لأنه ظلّ متمسكا به ، متشبثا بحلمه ، متعلقا بوطنه . وفي هذه الكلمات أيضا نقرأ تأثره بالشعر العربي في قول الشّاعر :

بلادٌ بها شقَّ الشَّبابُ تمائمي...وأوّلُ شيءٍ مسَّ جلدي ترابُها

ويمضي في دموعه الشعرية ليصل إلى حيفا وما تحمل في نفسه من أشواق يكابدها ليل نهار، ولعلّ في الأبيات ما يُغني عن أيّ شرح أو تعليق !!

ما أشرقتْ عينـاكِ إلاّ خانني   بصَبابتي.. صبري.. وحُسْنُ تجملي
وتَحسَّستْ كفّايَ من ألَم الجوى   سهمـاً مغارسُ نَصْلهِ في مقتلـي
فلقد رأيتُ بلحظ عينكِ إذ رَنَتْ   والتِّيهُ يَكْحَلُهـا بمِيـلِ تَـدلُّلِ
)حيفا) وشاطئها الحبيب، وسَفحهَا   وذُرىً تعـالتْ للسِّماكِ الأعْـزَلِ

عينٌ رأيتُ بسِحرِها وفُتونِها أحلامَ عَهْدٍ بالصَّفاءِ مُظلَّلِ
ولمحتُ بين سوادِها وبياضِها ظِلَّ الصَّنَوْبَرِ في أعالي (الكَرْمِل)

ولعلها من القصائد المتميزة في الأدب الفلسطيني في موضوع "التغزل بالوطن" ، وطلب الوصال معه وكأنه صب عاشق ولهان يبحث في عيون حبيبته عن الأمل :

فإذا رنوتُ إلى لحاظِكِ تائهاً من سِرِّها في جُنْحِ ليْلِ ألْيَلِ
مُتَعثِّرَ اللحظاتِ، مَشْدُوهَ الأسى أهْفو لِحَظٍّ مُدْبِرٍ أو مُقبِلِ
وأنا أرُودُ بلَهفَتي وصَبابتي ألَقَ السَّنى من وَجْهِكِ المتهلِّلِ
فتَلَفّتي، لا تَعْطِفي جِيدَ الحَيا عنّي، ففي عينيكِ غايةُ مأمَلي....

الخذلان :

لم تغب العروبة عن شعر البحيري ، فكانت في أولى دواوينه كما رأينا، ورأينا كيف امتدت قوافيه لتقف عند حدود التاريخ ومدرسة الأيام ، وملاحم البطولة والأمجاد للأجداد . ولكنّ ما جرى على أرض فلسطين كان عظيما ، وخذلان بعض العرب لأهلهم في فلسطين لم يمر سريعا عند الشاعر ، فها هو يحكي بكل لوعة وأسى عن خذلان القريب ، ولأنّ ظلم ذوي القربى أشد مرارة فإنّ هذه القصيدة تأتي طبيعية في سياق التاريخ والأحداث وردة الفعل النفسي ، كيف لا والشعر أحاسيس ومشاعر ورقة وعذوبة ، يخدشه الأسى ، ويجرحه التخاذل :

أما فيكُمْ ملوكَ العُرْبِ ذو هَدْيٍ ولا مُرْشَدْ
يخِفُّ لِنُصرةِ الإسلامِ لمّا صاحَ واستَنْجدْ
وَدَوَّى غوثه الملهوف يحمله الصَّدى الأسْوَدْ
وأنتمْ في ظلالِ اليُمنِ غُصنُ مُناكمو وَرَّدْ
تُعزّونَ الأسى بالقولِ لا أجدى ولا أنجدْ
فلو أبصرتمو "صهيونَ "لما هَبَّ واستأسدْ
وصَالَ على كريم العِرْضِ صولة غاشمٍ أنكدْ

وفي ذكرى وعد بلفور، وما تحمله من دلالات خطيرة وآلام عظيمة في وجدان الفلسطيني، يعود الشاعر ليترك وصاياه إلى النّاس، تحمل معانيه تجاوزا للحادثة على معاني أعمق وآفاق فكرية وإنسانية أوسع :

يا منْ جهدتمْ بالكلامِ فأزَّ في الأفواهِ رَعدَا
لا يمحّي جرحُ العروبةِ منْ فؤادٍ كادَ يرْدَى
بالقولِ نمقهُ اللّسانُ فسالَ للأسماعِ شَهدا
يا أيُّها الباكونَ يُجرونَ الدُّموعَ جوىً وسُهدا
ما نالَ ذو حقٍّ هوى بالدَّمعِ يَفرُقُ مِنْهُ خَدَّا
فالحقُّ يُؤخَذُ بالصِّفاحِ تَوُدُّها الأبطالُ أدَّا
والمجدُ يبنيهِ القويُّ وما بَنى ذو الضَّعفِ مجدا

فلسطين دائما :

ظل الوطن هو البطل الحقيقي في معظم قصائد الشاعر الذي امتدت حياته منذ النكبة وحتى وفاته في عام ١٩٩٨ خمسة عقود كاملة . ومن ديوان (لفلسطين أغنّي (مرورا ب (جنة

الورد) و(سأرجع) وليس انتهاء بديوان (لعيني بلادي) يرسم شعر حسن البحيري صورته في وجدان المستمعين، ويترك فلسفة الحب تنتشر بشكل جديد حين نقرأ ديوان (ظلال الجمال..قصائد حب)، ففيه قصيدة (حبيبتي فلسطين) التي تفيض رقة وعذوبة وشوق إلى دياره .

وقصيدة (دمعة في ربيع الكرمل) الذي يرى من خلالها دمعة المشتاق، ولوعة المفارق لأحبته .

البحيري والشعراء:

قد يظن البعض أنّ الشاعر في مهجره بدمشق انزوى يبكي على وطنه الضائع ومدينته المغتصبة، ولكن من يملك مثل روح الشاعر لا يمكن أن يقبل بالقعود، خاصة وأنه يرى الأمة تمر في منعطف خطير .

من هذا المنطلق زاول شاعرنا العديد من الأعمال، وتقلب في مختلف الوظائف في المجال التعليمي والإذاعي. ومن خلال عمله الإذاعي أخذ يبث أشواق المغتربين إلى الوطن عبر شعره، ويدعو على تخليص الدّيار من المحتلين.

أما من حيث علاقاته مع غيره من الشّعراء فقد عقد البحيري صداقات مع الشعراء الفلسطينيين والسوريين والشعراء العرب الآخرين، وكان من ضمنهم الشاعر الإماراتي سلطان العويس حيث كانا يتفقان في حبهما للشعر العربي المتمسك بقوة الألفاظ وجزالتها.

مكانة الشاعر:

بلغ عدد الدواوين الشعرية للشاعر حسن البحيري خمسة عشر ديوانا شعريا بالإضافة إلى رواية كتبها قبل النكبة وطبعا قبل عدة سنوات من وفاته) رجاء-١٩٩٠). كما أن ترجم بعض قصص الأطفال عن الإنجليزية، إضافة إلى عدد من المخطوطات .
قال عنه الدكتور محمد عطوات مؤلف كتاب الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني المعاصر : ينطلق الشاعر في الاتجاه الديني من تصور ديني في نظرته إلى الكون والإنسان والحياة ، وفي نظرته إلى القضايا والأحداث ، والأشخاص والمشكلات ، وفي تعبيره عن العواطف والمشاعر . ومن أبرز شعراء هذا الاتجاه في فلسطين، حسب التسلسل الزمني خمسة شعراء من بينهم حسن البحيري .
أما الدكتور محمد الجعيدي فقد اعتبره من رواد التجديد حين قال في كتابه مصادر الأدب الفلسطيني الحديث: وفي هذه الفترة "الثلاثينيات" يمكننا أيضاً أن نعتبر من بوادر التجديد قصيدة "أحلام البحيرة "النثرية لحسن البحيري . ونجد عند الدكتور رياض آغا تفصيلا في جانب آخر حين يقول في إحدى دراساته: لم يكن شعر المنفى كما سماه يوسف الخطيب، أقل شأناً من شعر المعتقل، وقد أتيح لي أن أعرف عن قرب صناجة فلسطين (حسن البحيري) رحمه الله، وكان في أواخر أيامه يعمل مدققاً للغة العربية في هيئة الإذاعة والتلفزيون السورية، وكنت يومها أحد المسئولين في الهيئة، وأذكر غيرته على اللغة، وحزنه الشديد حين يقع خطأ نحوي على ألسنة المذيعين والمذيعات، وكنت أشاركه هذا الحرص على لغتنا العربية، لأنها الوطن الأم الذي إن فقدناه فقدنا انتماءنا إلى العروبة، وكان البحيري مغرماً بالجرس الشعري .

ونذكر سريعا بعض المؤلفات التي تناولت سيرة الشاعر وعطائه الأدبي ومنها: الوطنية في شعر حسن البحيري من تأليف : صبري دياب، وكتاب .. الشاعر حسن البحيري : صورة

قلمية في رحلة إلى الأعماق من تأليف الدكتور حسني محمود .
رحم الله شاعرنا، فقد أخلص في حبّه لوطنه ، وجعل من قلمه نشيدا يغني للديار، ويتغنى بالأبطال المدافعين عن حياض الوطن وكرامة الأمة ومقدساتها :

ثاروا.. ولَيسَ لِنار ثورَتِهِمْ علَى الباغي خُمودُ
فَهُمُ الزَّلازِلُ والنَّوازِلُ والصَّواعِقُ والرُّعودُ
وصَدَى بُطولَتهِمْ علَى فَمِ كُلِّ عاصفةٍ نَشيدُ